أسس رعاية عقل الطفل
الثروة التي لا تضاهي ولا تنضب أبدا

العربي بختي
جامعة محمد بوضياف المسيلة

تمهيـــد:

العناية بعقل الطفل هي العناية بالمستقبل. وليس من العسير أن نـــدرك الحكمة من الاهتمام الكبير الذي يوليه غيرنا لأطفالهم في مختلف ســـني حيـــاتهم الباكرة. ذلك لأنهم هم الذين يعكسون آمالنا نحن الكبار، ويحققون حلم الأمـــة، فيقيمون المجتمع الذي ننشده في الغد المأمول. وإذا نجحنا في رعاية عقولهم فإننـــا بذلك نعينهم على خلق مجتمع إنساني أفضل، ونعدّهم لمواجهة أعبـــاء المســـتقبل الجسام.

وعقل الإنسان ظاهرة خلقها الله تعالى وخص به الإنسان، وهي تتصف بالعمق والاتساع والانطلاق والنفاذ، به يدرك ويفكر ويتـــذكر، ويـــربط بـــين المحسوس والمجرد، وبين الجزئي والكلي، وينتقل من الواقـــع إلى المعقـــول، ومـــن المحسوس إلى المجرد، ومن الطبيعة إلى ما وراء الطبيعة[1]. وبه يتم إدراك المعقولات وتفسير المحسوسات التي تدركها الحواس، ولولا هذا العقل لما استطاعت حـــواس الإنسان المدركة الاستفادة من إدراكها لما تتأثر به والتعرف على مـــا في الكـــون والتحكم في الطبيعة والصعود إلى الفضاء[2]. فقال تعالى: {يا معشر الجن والإنس إن استطعتم أن تنفذوا من أقطار السماوات والأرض فانفـــذوا، لا تنفـــذون إلا بسلطان}[3]. وهذا النفاذ لا يكون إلا بسلطان العقل المفكر الذي لا يذكره الله إلا في مقام التعظيم والتنبيه إلى وجوب العمل به وتحكيمه.

أولا: **التعريف** .

المقصود بالرعاية هو التعهد والتفقّد[4].ويقصد بها أيضا:الحفظ[5].ويقال: رعى النجوم نظر إليها وراقبها [6].

ورعاه : توفّر عليه[7].وراعى الأمر: نظر إلى أين يصير[8].

أما معنى العقل في اللغة فهو الحجر والنهي[9].ويقال: عقل الطفل الأشياء أي أدركها على حقيقتها وميّزها[10].

والعقل من الغيبيات التي تفرض وجودها ولا ينكرها عاقل[11].وهو جوهر مضيء غير مادي يتكوّن من قوى وقدرات عقلية، خلقه الله في الدماغ، به يتم الإدراك والفهم والوعي والنظر والتدبر والاعتبار وتحصيل المعلومات، وفحص الحقائق والمبادئ والمعتقدات والتأكد من صلاحيتها، بالإضافة إلى مساعدة الإنسان في حل المشاكل التي تصادفه في حياته[12]. كما أنه ملكة الإدراك التي يناط بها الفهم والتصوّر[13]، وهو كذلك قوة غيبية تمكّن الإنسان من معرفة الخالق مبدع الكون.قال تعالى:{إن في خلق السماوات والأرض واختلاف الليل والنهار والفلك التي تجري في البحر بما ينفع الناس ، وما أنزل الله من السماء فأحيا به الأرض بعد موتها ، وبث فيها من دابة، وتصريف الرياح والسحاب المسخر بين السماء والأرض لآيات لقوم يعقلون}[14].

وفضلا عن ذلك فالعقل أداة لإدراك العلوم والمعارف النظرية والتجريبية التي هي استمرارا لوجود الإنسان[15]، ووسيلة للتمييز بين الحق والباطل، والخير والشّر، والحسن والقبح[16]، والمنع من المحظور والمنكر[17]. وبتوفره يصبح

الشخص أهلا لتوجّه الخطاب إليه، والاعتداد بما يصدر عنه من تصرفات قولية أو فعلية أو اعتقادية وتترتب آثارها الشرعية، وبه يتمّ ثبوت الحقوق له، ويصير صالحا لأن تجب لغيره عليه. وبه أيضا يملك القدرة على الفهم، ويقوى على تحمل التكاليف والمسؤولية.

أما بشأن كلمة الطفل فقد أطلق اللغويون لفظ الطفل على الصغير من كل شيء[18]. وعلى المولود الصغير من الإنسان[19] والحيوان[20]. مادام ناعما [21]حتى يبلغ سنّ البلوغ. كما عنوا بمرحلة الطفولة الفترة الممتدّة من الميلاد إلى البلوغ[22]. واللفظ للمفرد المذكر وجمعه أطفال، ومؤنثه طفلة.

وقد ورد لفظ الطفل في أربعة مواضع من القرآن الكريم ، نذكر منها قوله تعالى{ثم نخرجكم طفلا}[23].وقوله: {وإذا بلغ الأطفال منكم الحلم فليستأذنوا}[24]. وتختم مرحلة الطفولة بالمراهقة التي هي بداية الانتقال من الطفولة إلى الشباب، وأي تقصير في رعايتها يسبّب الكثير من المشاكل العقلية والجسدية والاجتماعية.

ثانيا : **تأثير العامل الوراثي في العقل.**

وأبدأ بالسؤال فأقول: لماذا يمرض عقل الطفل، أو يصاب بالتخلف أو النقص والقصور؟ إنها مشكلة يواجهها أهل الأطفال، ويشعرون بالحيرة أمامها، ومازال الكثير منهم يبحثون عن حل حقيقي لها. لكن الحل يأتي من رعاية عقل الطفل وحمايته.

فالبحوث تشرح الأسباب فتجعل من الأمراض الوراثية، وسوء التغذية، ونقص الرعاية الصحية، وفساد البيئة أسبابا رئيسية لهذه المشكلة التي طالما شغلت العلماء منذ القديم وإلى اليوم[25]. فهي وطريقة التنشئة الاجتماعية كلها عوامل من شأنها التأثير في صحة العقل ونموه وتكامله[26].

وقد يأتي الطفل إلى الوجود بسبب ذلك مصابا بالإعاقة العقلية، فيكبر وهو يشعر بالنقص في الخبرة ، ويصبح إنجازه ضعيفا، لفشله في التعليم أو التدريب وفي اكتساب السلوك المقبول اجتماعيا [27].

في البداية نقف عند الحجر الأساس لإنجاب أولاد أصحاء العقول. والحجر الأساس في ذلك هو الوالدة التي تعطي الولد المتمتع بالحماية من المرض العقلي ووحدة أعضائه الحسية وانتظامها وسلامتها [28].

وتبدأ هذه الحماية من حدوث الحمل أو قبله عندما يفكّر الإنسان في اختيار أم أولاده. فهذه المرحلة هي الأساس، فإذا لم يكن الأساس سليما فإن ما يبنى عليه لن يكون سليما[29]. وأساس هذه المرحلة هو أن يكون الوالدان خاليين من العيوب العقلية. أي ينبغي أن تكون الوالدة سليمة من العيوب الوراثية العقلية، لئلاّ تنتقل إلى جنينها.

ولتحقيق ذلك قال الله بشأن عيسى وأمه مريم التي أنجبت عيسى: {وأنبتها نباتا حسنا }[30].وقال الرسول الكريم:|إن لكل شجرة ثمرة، وثمرة القلب الولد|[31].كما قال (إلكسيس كارل) : إن الزواج بين أولاد الأشقياء أو السكيرين أو المصابين بالزهري، أو حاملي العيوب العقلية الوراثية يعتبر جريمة...ولذا يعتبر إنتاج ذرية من المرضى أو المنحلين أو اللصوص أو المعتوهين

جريمة كبرى، وهكذا يعتبر سوء الذرية من أكبر الخطايا)[32]. فالكحوليات مادة مؤثرة لأنها تتلف بعض خلايا الدقيقة والأنسجة الدقيقة[33]. مما يعني أن العامل المؤثر في سلوك الإنسان وقدرته على التعلم[34]، وصحته العقلية والبدنية وتكوين نفسيته هو الوراثة والبيئة[35].

وإلى اليوم لا يزال الأطباء العقليون يقولون بوجود عوامل وراثية في المرض العقلي[36]. ولقد قدّر الباحثون أن العوامل الوراثية تلعب دورا كبيرا في حدوث حالات التخلّف العقلي. وتحدث وراثة الضعف العقلي إما مباشرة عن طريق المورثات أو الجينات التي تحملها الصبغيات، أو قد تحدث وراثة الضعف العقلي بطريق غير مباشر.

وقد ينتج عنه وجود أفراد ناقصي الإمكانيات لعاهات عقلية فلا يستطيعون القدرة على الاعتماد على أنفسهم في القيام بأي عمل بسبب القصور العقلي الذي خلقوا عليه والذي يتمثل في مستوى الأداء الوظيفي العقلي والذي يقل عن متوسط الذكاء بانحرافين معياريين، ويصاحب ذلك خلل في السلوك التكيفي، ويتجلى في مراحل العمر النمائية[37].ولا يأمل المجتمع في أن يتمتع هذا الفرد الذي هو على مستوى منخفض جدا من الذكاء بالتفكير الخلاق الذي تنجم عنه الأهمية الاجتماعية المتمثلة في المشاركة في بناء المجتمع التي تتمثل في التفكير المنطقي والتعبير الراقي والإبداع والاختراع[38].

وتنتقل العيوب العقلية إلى مخّ الجنين فتحدث تلفا في أنسجته فتعوق نموّه أو وظيفته [39]. وقد أثبتت

الدراسات أن نصف الإصابة بالضعف العقلي يرجع إلى سبب وراثي، أما نصفه الآخر فيعود إلى البيئة[40].

وقد نشرت منظمّة الصحة العالمية في سنة 1965 بحثا فحواه (أن اختلال الصحة العقلية لأحد أفراد

الأسرة من شأنه أن يؤثر حتما في مظاهر النشاط العقلي لباقي هؤلاء الأفراد)[41].

ثالثا: **تأثير الأمراض في العقل.**

وهناك عامل آخر يمكن أن يؤثر في عقل الطفل، وهو الإصابة بالمرض العقلي، لكن يمكن من خلال الرعاية المستمرة للطفل تحقيق الحماية من الإصابة بها.

ذلك أنه ومن خلال البحوث تبيّن أنه يمكن أن يصاب الإنسان ببعض الأمراض العقلية بسبب علل عضوية، ويأتي في مقدّمة أسباب مرض العقل أمراض المخّ. ويحدث هذا عندما يصاب الجهاز العصبي المركزي، أي مخّ الإنسان بجرح أو تلف، أو يتعرّض للتسمّم الخارجي الذي يؤدي إلى تلف خلايا المخ. ويعود هذا إلى شرب الخمر أو تعاطي المخدرات والإدمان عليها. أو إلى عوامل داخلية كإفرازات الغدد، أو الإصابة بمرض الزهري الناتج عن ممارسة الزنى الذي يؤدي إلى اضمحلال القوى العقلية وتدهورها [42].

ومن الأمراض العضوية التي تتسبّب في الإصابة بالأمراض العقلية اضطراب الغدّة الدرقية التي لها دور فعال في الذكاء والسلوك[43]. فأهمية تأثير

نشاط الغدد في النمو العقلي لدى الطفل لا يقلّ عن أهميته في النمو الجسمي. ونقص إفرازها أو عدم كفاية وظيفتها، له آثار مرضية عقلية، ذلك أنه إذا لم تعمل بكفاءة في الطفولة فإن نتيجة ذلك هو تعرض الطفل للقماءة أو القصاع، الذي يتسبب في نشوء إنسان شديد التخلف العقلي، ضئيل الجسم قبيح المنظر[44].فضعف نشاط الغدة الدرقية يؤدي إلى اضطراب الذكاء حتى يصل الإنسان إلى درجة الغباوة. مقابل ذلك يؤدي ازدياد نشاط الغدة الدرقية إلى ارتفاع مستوى الذكاء إلى درجة العبقرية والإبداع[45].

وترتبط هذه الحالة بالمناطق التي يقلّ فيها (اليود iod) الذي يتكوّن فيه عنصر (الثيروكسين thyroxine) الذي يحتاجه جسم الطفل بشدّة[46].

وهناك سبب آخر قد يؤدي إلى إصابة عقل الطفل بالمرض إذا لم يلق الرعاية الكافية، ذلك أن العديد من الحوادث الكثيرة الوقوع، وتزايدها عند الأطفال تجعل إصابة رأس الطفل بالصدمات، عند السقوط على الأرض أو حوادث السيارات ، أو الاصطدام بجسم حاد أو صلب أمرا ممكنا. وكلها قد تتسبب في الإصابة بالاضطرابات العقلية، وبالصرع الذي هو نتيجة مباشرة لإصابة المخ في صدمة الرأس[47].

وإضافة إلى هذا هناك مرض آخر قد يؤذي عقل الطفل، وهو التهاب الدماغ الذي يصيب نسيج المخّ بسبب تسرّب فيروس فوق مجهري. والطفل الذي يعالج من هذا الداء، ويشفى منه سيظل يعاني من مخلفات عصبية ونفسية مختلفة. وعندما يتأخر العلاج أو لا يتمّ بصفة منتظمة، فإنه قد تحدث وفاة الطفل، أو يحصل له تلف العقل الذي لا يرجى شفاؤه[48].

وإذا لم يلق الرعاية اللازمة، فإن بعض السموم قد تتسرّب إلى بدنه، خاصة التسّمم بالرصاص الذي يصل إليه عن طريق استنشاق رذاذ طلاء البيوت المحتوي على الرصاص، أو عن طريق اللّعب التي تقع بين يديه[49].

كما أنه وبعد ولادته قد يتعرّض لداء الالتهاب السحائي، وخصوصا في الشهور الستة الأولى من ميلاده، فيسبّب له تلفا شديدا في المخ. بالإضافة إلى الأورام التي تنمو في مخ الطفل. ورغم ندرتها بالنسبة للأطفال، إلا أنها تؤدي إلى الضغط على المخ، مما يؤدي إلى التأخر العقلي[50].

وبهذا الخصوص يجب التذكير بأنه ليس ثمة مرض عقلي لا يصحبه اضطراب في الوظائف المعرفية، وقد يكون ذلك في اضطراب الإدراك أو في تشوّش الفهم أو في تعطيل مجرى التفكير، أو في تأخر الذكاء، أو

في قصور الذاكرة[51]. وبهذه القوى المتمثلة في الإدراك والتفكير والتذكر تتحقق إنسانية الإنسان التي سمت به من الحيز المحسوس المحدود إلى العالم المعقول الواسع، ومن حيز الإحساس الذي يتقوقع فيه الحيوان إلى عالم المعرفة والذكاء الذي يتميز به الإنسان[52].

كما يؤثر الضعف العقلي في القدرة على التحصيل العلمي، بسبب نقص القدرة العقلية في حلّ المشكلات العقلية، واضطراب الفهم ، وضعف الذاكرة، وتشتّت الانتباه، وقلّة القدرة على التركيز والتخيل والتصوّر.

وليس هذا فقط بل إنه ما من شكّ في أن هناك علاقة بين الأمراض العقلية والإجرام. ومن ذلك أن المرض العقلي وما يصحبه من تغيير الشخصية يؤثر

في سلوك الطفل[53].وقد انتهى العالم (كوليمان coleman) إلى النتيجة القائلة: (إن الغالبية العظمى من نزلاء المؤسسات العقابية مختلّون عقليا، وأن الخلل العقلي هو الذي أدّى إلى انحرافهم)[54]. فالعقل المريض لا قدرة له على التحكم في الإرادة التي هي نزوع النفس وميلها إلى الفعل بعد روية وتفكير، فيتمكن الإنسان من التفكير في أطراف المشكلة ثم يختار ما يراه مناسبا ، فيضبط نوازعه وينظم شهواته ومشاعره وأعماله ثم يتصرف بوحي من عقله وإرادته[55].

إذ قد ينتج عن معاناة الطفل من الضعف العقلي أن لا يقدّر الأمور حقّ قدرها بسبب ضعف الإدراك والتمييز فيخالف النظام العام للمجتمع، أو يقع ضحية لغيره فيسخره في ارتكاب جرائم يعاقب عليها القانون.

ولقد ساد بين بعض المفكرين اعتقاد بوجود ارتباط بين الإقدام على الجريمة وبين التكوين العقلي. فقد استنتج بعض الباحثين أن جميع المنحرفين والمجرمين يتّصفون بنقص التكوين العقلي بدرجات متفاوتة، وهذا النقص هو سبب تصرفهم الإجرامي[56]، بالرغم من نفي البعض وجود مثل هذه العلاقة.

رابعا : **تأثير نقص التغذية الصحية .**

إن إشباع جوع الصغير وطريقة إشباعه، واستجابة الوالدة للصغير في هذه المواقف وتكرارها تؤدي إلى حفظ التوازن بين صفاته الشخصية ومتطلباته الاجتماعية والحيوية[57].

ويؤكّد المختصّون أن صحة العقول ونموّها الصحيح تتطلب جسما صحيحا سليما معافى من الأمراض. ولكي يكون الجسم كذلك فإنه في حاجة

دائمة إلى الغذاء المناسب، والكساء المناسب، والنظافة التامة، والراحة الكافية كل ذلك لتجديد القوة والنشاط العقلي. والجسم يحتاج ذلك ليبقى سليما، ويستمر في نمائه ويبقى معافى صحيحا. والعقل بدوره يحتاج إلى هذا الجسم ليستمر تدفق القوة فيه بما ينفع الناس.

ولهذا فإنه لضمان إنجاب ذرية صالحة من الناحية العقلية والنفسية ينبغي تغذية الوالدة تغذية صحية بداية من فترة الحمل، لأن الجنين إنما يتغذّى بغذاء والدته.وقد قال تعالى آمرا الأزواج بالإنفاق على النساء الحوامل خلال فترة الحمل:{وإن كنّ أولات حمل فأنفقوا عليهنّ حتى يضعن حملهنّ}[58].كما رخص الرسول الكريم لهند زوج أبي سفيان أن تأخذ من ماله دون علمه لتنفق على نفسها وعلى أولادها، فقال لها : {خذي ما يكفيك وولدك بالمعروف }[59].

وقد ثبت تأثر الجنين بأخلاق والدته وعقليتها ونفسيتها ، وهذا اقتضى ألاّ تأكل إلا الطعام الصحّي الحلال. فقال تعالى :{ يسألونك ماذا أحلّ لهم قل أحلّ لكم الطيبات}[60].فتمتنع عن التدخين وشرب الخمر وتعاطي المخدرات وأكل الميتة ولحم الخنزير.

أما في مرحلة الرضاعة فإنه ينبغي أن تعلم الوالدة أيضا أن عقل طفلها يتأثر بحليبها. ولهذا قال النبي صلى الله عليه وسلّم:{لا تسترضعوا الورهاء}[61].والمرأة الورهاء هي الحمقاء، والحمق قلّة العقل[62].وورد نهيه صلى الله عليه وسلم في قوله{لا تسترضعوا الحمقاء فإن اللبن يورث}[63]. وفي قول آخر:[نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن تسترضع الحمقاء فإن اللبن يشبه][64].وقال الإمام الغزالي ناصحا باختيار مرضع للطفل (...بل ينبغي أن

يراقب من أول أمره، فلا يستعمل في حضانته وإرضاعه إلا امرأة صالحة متدينة تأكل الحلال، فإن اللبن الحاصل من الحرام لا بركة فيه، فإذا وقع عليه نشو الصبي تعجّنت طينته من الخبث...)[65].وقد ذكروا أن الإمام أبا محمد الجويني دخل يوما بيته فوجد ابنه إمام الحرمين أبا المعالي يوم كان صغيرا ، يرتضع ثدي غير أمه، فاختطفه منها، ثم نكس رأسه ومسح بطنه، وأدخل أصبعه في فمه، و لم يزل يفعل ذلك حتى خرج ذلك الحليب من بطنه، ثم قال: يسهل عليّ موته ولا تفسد طباعه بشرب حليب غير أمّه. ثم لما كبر أبو المعالي كان إذا حصلت له كبوة في المناظرة يقول: هذه الكبوة من بقايا تلك الرضعة[66]. كما يرى الإمام ابن قدامة أنه ينبغي ألا يتولّى رعاية الطفل وتربيته إذا كان مصابا في عقله شخص معتوه[67].

وأيضا ولضمان سلامة عقل الطفل من التأثيرات السلبية فإن (جان جاك روسو) يرى أنه يقتضي ألاّ ترضعه امرأة مريضة لأن الطفل يتأثر بحليبها، فيقول: (ويجب أن تكون المرضع جيّدة الصحة حسنة المزاج، فإن العنف والانفعالات والكدر كلها تفسد اللبن)[68].

وقال(إلكسيس كارل) منبّها إلى تأثير المأكولات والمشروبات في عقل الطفل منذ بداية حمله: و(...لإنجاب أطفال من نوع جيّد...يجب ألا يكون الأبوان المستقبلان نفسيهما مصابين بالزهري أو من المدمنين للخمر أو المورفين أو الكوكايين. فسكر الزوج أو الزوجة في لحظة التلقيح جريمة حقيقية، لأن الأطفال الذين يولدون من مثل هذا التلقيح كثيرا ما يعانون أمراضا عصبية وعقلية لا يرجى لها شفاء)[69].

خامسا: تأثير البيئة في النمو العقلي.

إن نمو شخصية الطفل الفكرية لا يعني التفتح الآلي للصبغيات الوراثية التي انتقلت إليه من والديه وأسلافه والتي لها دور أساسي في تكوين الشخصية التي هي في الوقت ذاته حصيلة عملية التعلم، وما يكتسبه الطفل من خبرات متواصلة بفضل عاملين: أساليبه الخاصة من جهة ، وأثر معاملة الوالدين له خلال السنتين الأوليين من الحياة من جهة أخرى. فالأم وما تبذل من عناية ورقابة في الدرجة الأولى، وهي تؤدي إلى قدر عظيم جدا من النمو البدني والعقلي. ومن بعد البيئة المحيطة ومدى استجابتهما لحاجات الطفل ومتطلبات تطوره العقلي، ثم أسلوب الكبار في العناية بعقله. هذه جميعا أمور جوهرية تلعب الدور الأكبر في تنمية عقله وتحديد معالمه.

تهدف التربية الصحيحة اليوم إلى رعاية جميع مظاهر النمو، ويأتي في مقدمتها رعاية عقل الطفل بتنمية قدرته الفكرية، وتقديم المعرفة الكافية التي تمكّنه من إدراك ما يجري حوله، بكل ما فيه من حسنات وسيئات. وهذه المعرفة هي التي تساعده على تكوين مفاهيمه تكوينا سليما فعالا،وتمكّنه من التصدّي لمعالجة جميع شؤون حياته، والاستمتاع بثمار تفكيره[70].

كما تهدف إلى تفعيل البيئة المحيطة بالطفل، لأن إدراكه يتأثر بمدى إشباع دوافعه وحاجاته النفسية[71]. فإذا ما سادت حياته ظروف طبيعية خالية من الصراع والضغوط النفسية والإحباط، فإن ذلك يؤدّى إلى تكوين حياة عقلية

سويّة. أما إذا اختلت فإنه يؤدّي إلى اهتزازها، مما ينجم عنه اضطراب عقل الطفل ثم قد يقدم على ارتكاب السلوك المنحرف[72].

ويأتي في مقدمة المؤثرات: الظروف الأسرية التي هي الأساس المتين الذي تقوم عليه الحياة العقلية السوية للفرد. فالعناية البدنية من غذاء جيد، ونظافة تامة، ووقاية من المرض، بالإضافة إلى الخبرات التي تهيئ له في سنواته الأولى، والأسلوب الذي يتبع في الاستجابة إلى حاجاته العقلية ومطالبه الفكرية، وكيفية مساعدته في حل المشكلات وتلبية الحاجات، هذه جميعا هي ما سيلعب الدور الأكبر في تكوينه العقلي وإنمائه ورسم معالمه وتحديد وجهته.

وإذا ما ساد البيت جوّ أسري مضطرب فإنه يؤدى إلى حدوث اختلال كبير في قوى الطفل العقلية، ويؤثر تأثيرا سيئا وسلبيا في جميع أساليب وأنماط تكيّفه. فلا يحصل توافق بينه وبين نفسه، وبينه وبين الجماعة التي يعيش معها. بل قد يصل الأمر إلى أن يصبح المريض عقليا يمثّل خطورة بالغة على شخصه، أو على المحيطين به.

ولا يتوقف الأمر عند هذا الحدّ، بل إن المرض العقلي قد يؤثر في سلوك الفرد المريض في مختلف النواحي البدنية والعقلية والخلقية والاجتماعية، فيحدث اختلال كبير في تفكيره وقواه العقلية، ويعجز عن ضبط نفسه ونوازعها، ويفقد اتصاله بالحياة الواقعية، بل يصعب عليه إقامة حوار مع الناس، فيقعد عن ممارسة النشاط الطبيعي المطلوب منه، كما يعجز عن إقامة صلات اجتماعية وعلاقات مع الغير، ولا يقدر على تحمل المسؤولية التي تناط به. وهذه الصفات تجعله غير مقبول اجتماعيا[73].

وليس هذا فقط بل إن المصاب بالمرض العقلي يفقد القدرة على الإدراك والوعي والفهم والانتباه والتعلّم وسوى ذلك من العمليات العقلية التي تشتدّ الحاجة إليها في هذه المرحلة من العمر.

ومن المؤكد أن إصابة الطفل بالأمراض العقلية لا يرجع إلى أسباب عضوية فقط، بل يعود إلى أسباب نفسية أيضا، وسبب ذلك هو الصراعات والتوترات النفسية الشديدة، والمشكلات الانفعالية والصدمات النفسية التي يعانيها الطفل في طفولته المبكرة[74].

ولكي يبلغ العقل منتهى نضجه ينبغي الاهتمام بتنشئة الطفل في البيت والمدرسة بحيث تتاح له الفرص المناسبة والوقت الكافي والوسائل المتاحة والحوافز الملائمة، والإشراك في النشاطات المختلفة المناسبة لميوله وقدراته. بالإضافة إلى تزويده بما يحتاج إليه من وسائل تعليمية تعينه على إشباع رغباته وتلبي ميوله وحاجاته لينمو عقله. فضلا عن توفير الحماية له ليشعر بالطمأنينة النفسية والفكرية التي تمكّنه من استعمال عقله فيفكّر تفكيرا متزنا، ويتكوّن عنده التفكير العملي المساعد على حلّ المشكلات اليومية الطارئة.ويفكّر تفكيرا اجتهاديا خلاّقا يستهدف به حلّ المعضلات العصيبة، أو يستعمله في الابتكار والإبداع والتطوير. وهذا النوع الأخير هو سرّ وجود البشر على وجه الأرض. ولهذا قال أحد العلماء : (إن التفكير الخلاّق يستطيع أن يقلّب وجه العالم...وهو الذي رفع الإنسان من أسفل دركات الجهل والهمجية إلى أعلى درجات العلم والمدنية) .

وخير أنواع التفكير على هذا الأساس هو التفكير الذي يكون احتمال مساعدة صاحبه على حلّ ما يعترض سبيله من مشكلات أكثر من غيره.

ومن أجل أن يسود الجوّ الفكري البناء شؤون البلاد بكل مرافقها،لأنه الأقدر على تدبير الأمور وحلّ المعضلات ينبغي إعداد الطفل لذلك. ويكون بإنماء عقله، وهذا يساعده على إطلاق القدرات الكامنة فيه، فيستعمل هذه القوة المفكّرة التي منّ الله بها على الإنسان، فيقوم بالتمييز بها بين طريق الخير والحقّ، وطريق الشرّ والضلال.

ويدخل ضمن الرعاية: العمل على تبيان كيفية استعمال هذه القدرة العقلية وتنشيطها. وأن ذلك يحصل له بالتفكير المنظم الذي يؤدي إلى امتلاك عقل راجح يمدّه بالقوة.

وغير خاف أن استقامة أمر المجتمع ، وصلاح الدولة إنما يجيء كنتيجة حتمية للاعتناء بصحة العقل والتفكير والتجارب العقلية التي يقوم بها الفرد. ورعاية التفكير الذي مركزه الدماغ المتحكّم في النشاطات العقلية التي تسيّر الإنسان، وتتصرّف في أقواله وأفعاله ومدى استيعابه.

الهوامش:

(1) موسوعة علم النفس والتربية ج10 http/www. Editocreps. Com. lb ص217/218

(2) عبد العلي الجسماني: علم النفس وتطبيقاته الاجتماعية والتربوية الدار العربية للعلوم بيروت ط1/1994ص70

(3) سورة الرحمان: الآية 33

(4) مرتضى الزبيدي: تاج العروس ج1 ص5413

(5) محمد بن أبي الفتح البعلي: المطلع ج1 ص326

(6) أحمد بن محمد الفيومي: المصباح المنير ج1 ص67

(7) محمد بن يعقوب الفيروزآبادي: القاموس المحيط ج1 ص635

(8) محمد بن أبي بكر الرازي: مختار الصحاح مادة رعى ص129

(9) محمد بن أبي بكر الرازي: مختار الصحاح مادة عقل ص223

(10) إبراهيم مصطفى: المعجم الوسيط ج2 مادة عقل ص616

(11) محمد الصايم: قيمة العقل في الإسلام ص10

(12) موسوعة علم النفس والتربية ج10 ص220

(13) كارم السيد غنيم: أبعاد التكوين العقلي للفرد ص22/21

(14) سورة البقرة: الآية 164

(15) موسوعة علم النفس والتربية ج10 ص 221

(16) محمد السيد الزعبلاوي: تربية المراهق بين الإسلام وعلم النفس ص69

(17) محمد الصايم: قيمة العقل في الإسلام ص11

(18) جمال الدين بن منظور: لسان العرب ج11 مادة طفل ص401

(19) الخليل بن أحمد الفراهيدي: كتاب العين ج7 ص428

(20) عبد الرؤوف المناوي: التعاريف ص483

(21) مرتضى الزبيدي: تاج العروس ج1 ص7263

(22) إبراهيم مصطفى: المعجم الوسيط ج2 مادة طفل ص560

(23) سورة الحج: الآية05

(24) سورة النور: الآية 59

(25) موسوعة علم النفس والتربية ج10 ص116

(26) عبد العلي الجسماني: علم النفس وتطبيقاته الاجتماعية والتربوية ص81

(27) خليل المعايطة: علم النفس التربوي دار الفكر للطباعة والنشر عمان الأردن ط1/1999 ص161

(28) عبد العلي الجسماني: المرجع السابق ص 125

(29) مقداد يالجن ويوسف القاضي: علم النفس التربوي في الإسلام ص91

(30) سورة آل عمران: الآية 37

(31) نور الدين الهيثمي: مجمع الزوائد ج8 ص155

(32) إلكسيس كارل: تأملات في سلوك الإنسان ترجمة محمد القصاص ص87

(33) عبد العلي الجسماني: علم النفس وتطبيقاته ص140

(34) عبد العلي الجسماني: المرجع السابق ص165

(35) موسوعة علم النفس والتربية ج10 ص116

(36) كمال دسوقي: الطب العقلي والنفسي الكتاب الأول ص29

(37) خليل المعايطة: علم النفس التربوي ص146

(38) عبد العلي الجسماني: علم النفس وتطبيقاته ص150

(39) فوزي محمد جبل: الصحة النفسية وسيكولوجية الشخصية ص405

(40) كمال دسوقي: الطب العقلي والنفسي الكتاب الأول ص27

(41) منير العصرة: انحراف الأحداث ومشكلة العوامل ص126

(42) فوزي محمد جبل: الصحة النفسية وسيكولوجية الشخصية ص188

(43) غسان يعقوب: أثر الغدد على الذكاء والشخصية مجلة هنا لندن شهر ماي العدد 1972/283 ص45

(44) كمال دسوقي: الطب العقلي والنفسي الكتاب الأول ص84/83

(45) غسان يعقوب: مرجع سابق ص45

(46) فوزي محمد جبل: الصحة النفسية ص401

(47) كمال دسوقي: الطب العقلي والنفسي الكتاب الأول ص128

(48) كمال دسوقي: الطب العقلي والنفسي الكتاب الأول ص115

(49) منير العصرة: انحراف الأحداث ومشكلة العوامل ص129

(50) فوزي محمد جبل: الصحة العقلية ص407

(50) فوزي محمد جبل: المرجع السابق ص 407

(51) محمد صبحي نجم: المدخل إلى علم الإجرام ولعل العقاب ص21

(52) موسوعة علم النفس والتربية ج10 ص 203

(53) محمد صبحي نجم: المرجع السابق ص21

(54) كمال دسوقي: الطب العقلي والنفسي الكتاب الأول ص17

(55) موسوعة علم النفس والتربية ج10 ص182

(56) مقداد يالجن: علم النفس التربوي في الإسلام ص96

(57) عبد العلي الجسماني: علم النفس وتطبيقاته ص 290

(58) سورة الطلاق: الآية 06

(59) الإمام البخاري: صحيح البخاري ج2 ص 768

(60) سورة المائدة: الآية 04

(61) نور الدين الهيثمي: مجمع الزوائد ج4 ص262

(62) محمد بن أبي بكر الرازي: مختار الصحاح دار عمار عمان الأردن ط1/1996 ص84

(63) نور الدين الهيثمي: مجمع الزوائد ج4 ص262

(64) الإمام البيهقي: سنن البيهقي ج7 ص464 وهو حديث مرسل.

(65) أبو حامد الغزالي: إحياء علوم الدين ج3 ص72

(66) إسماعيل بن محمد العجلوني: كشف الخفاء ومزيل الألباس ج1 ص520

(67) ابن قدامة المقدسي: المغني ج9 ص301

(68) جان جاك روسو: إميل أو تربية الطفل ترجمة نظمي لوقا ص56

(69) إلكسيس كارل: تأملات في سلوك الإنسان ص109

(70) فؤاد البهي السيد: الأسس النفسية للنمو ص166

(71) فؤاد البهي السيد: المرجع السابق ص142

(72) منير العصرة: انحراف الأحداث ومشكلة العوامل ص125

(73) فوزي محمد جبل: الصحة النفسية وسيكولوجية الشخصية ص186

(74) فوزي محمد جبل: الصحة النفسية وسيكولوجية الشخصية ص191